



د. عبد الحكيم الأنيس

إدارة البحوث

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

في آلاء الله، وعظمته، وابداع خلقه، والتفكر في المبدأ والمصير، ومساعدة شهر رمضان على هذه العبادة إنما هو من باب خلاء المعدة من كثرة الأطعمة والأشربة مما ترتخي معه الأعضاء، ويكسل الجسم، وتنشأ حركة العقل، فالبطنة تذهب الفطنة، والامتلاء الدائم سبب كبير لإفساد الفكر، وإبعاده عن وظيفته ووجوده.



ومن أهم دروس رمضان ذلك الدرس الذي تفتقر إليه الأمة بأجمعها: (الصبر)، فالمسلم عندما يُكابِد ألم الجوع والعطش، ويَحْمِل نَفْسَه على ما تكره، ينصاع له ما يعصيه من الصبر، إلى أن يصير له سجية وجبلة، وإذا ما اعترضته خطوب الحياة وأكدار الدنيا كان ذا سلاح قوي أمين يدافع به عن إيمانه وبقينه، وعزته وكرامته، هذا أولاً، وثانياً يُساعد على حمل أمانة التبليغ واستعذاب الأذى في سبيل الحق والسلام.

كُنَّا بحاجة إلى الصبر كي نستطيع مواكبة السير وقلع الأشواك من الطريق، ومرحباً برمضان عندما يُملئ علينا هذا الدرس البليغ.



وفي رمضان تتجلى وتترقرقُ أسمى آيات الحبِّ للخالق العظيم وأعظمها، فهذا هو المسلمُ وقد صام نهاره وقام ليله لا يأبه بالجوع والعطش، ولا بالسهر والسمر، انصرف بكلّيته إلى ربه تائباً متيباً، داعياً راجياً، ما له من همٍّ إلا القبول والتجاوز عمّا مضى، قد تعرّضَ أمامه أشهى الأطعمة فيُعرض عنها، ويلوح له أعذب الشراب فلا يلتفت له، كلُّ رغبته أن يرضى الله عنه، ويقول له يوم القيامة بعد كل هذا التعب والنّصب: لقد بلوتك يا عبيدي ووجدتُك عند العهد، والان ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، وهناك ما أشدَّ خيبة من خسر الامتحان!



وساعات رمضان كلها خيرٌ وبركة، وإنَّ من أجلها بهجة ونقاء وقرباً واتصالاً ساعة السحر، منى أنفُس العباد والزهاد، وبُغية الطالبين والراغبين.

كثيرٌ أولئك الذين يمرُّ عليهم السحر وهم في غفلة النوم غارقون، يأتيهم الخير إلى أبوابهم وهم عنه راغبون، ولكن رمضان شهر الرحمة والحنان يأبى إلا أن يجعل للجميع نصيباً من هذه الساعة المباركة العظيمة، فلا بُدَّ للصائم من سحور، ولا بُدَّ للسحور

من استيقاظه، ولا يكادُ الإنسان يشمُّ عبيرَ السَّحَرِ حتى تنتعشَ نفسه، وتتفتح ذابلاتُ وروده، فيلجأُ إلى مُصلاه يناجي ربه، ويزدرف أمامه دموعُ الخوف والرجاء، ويشكر شهرَ رمضان الذي كان السبب في تعريفه بهذه الساعة الغناء، حيث يفيض بحرُ الكرم، وتمتد يدُ المغفرة إلى كلِّ الغرقى والتائهين: «هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه...».



أما ما يُسبغه شهرُ رمضان على النفس من صفات طيبة، ومشاعر نبيلة حية، فذلك ما ليس بالغامض ولا البعيد، فقد عوَدَ رمضانُ النفوسَ أن يُهذبها، ويرقى بها إلى قمم المساواة والعدالة، إذ تذوقُ معاناةَ الآخرين فلا يخفى عليها بعدُ ما تنطوي عليه صدورُ الفقراء والمحتاجين من ألمٍ حزينٍ راضٍ، وصمتٍ متدثرٍ شفافٍ، فتتقربُ إليها وتمسحُ عنها غبارَ الفقر والحاجة، وتقدمُ لها المعونة والبسمة، والشعورَ الإنساني الصادق، تتقربُ إليها لتقول بأننا جسدٌ واحدٌ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعت له سائرُ الأعضاء بالسَّهرِ والحمى.



ورمضان بصيامه وقيامه وتسبيحاته وقرآنه قوة إيمانية هائلة،
تشحن عزيمة المسلم، وتنير له الدرب طيلة أيام السنة، كلما سلطت
الشمس أشعتها على نهره فأضرمته، وكلما حاول الألم واليأس أن
يقتربا من شاطئه، قوة تمنح القلب حلاوة اليقين، وتهب العين قرّة
السرور، وهو بهذا محطة سنوية يقف المسلم بها ليمأ عقله وقلبه
من معينها، محطة سنوية تتخللها محطات أخرى لك الخيار أن تنهل
منها أي وقت شئت.

رمضان فرصة ذهبية، ونفحة إلهية، علينا جميعاً أن نتعرض لها،
ونستسقي منها كؤوس المحبة والصفاء، ونتزود لغدنا في الدنيا،
وغدنا في الآخرة، وعسى الرحمة أن تطل علينا - بعد حبس
الجوارح عن متطلباتها - وتهتف بنا في الدارين قائلة: **أذهبوا
فأنتم الطلقاء.**

